لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في
وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى كلما
دخل عليها زكريا المحراب يعني الغرفة والمحراب اشرف المجالس ومقدمها وكذلك من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه
بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا يعني فاكهة في غير
وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء قال يعني زكريا يا مريم انى لك
هذا اي من اين لك هذه الفاكهة قالت يعني مريم مجيبة لزكريا هو من عند الله يعني من الجنة وقيل ان
مريم حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان ياتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا يا مريم انى لك هذا قالت هو
من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقال محمد
ابن اسحاق اصابت بني اسرائيل ازمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على
بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدي
فقالوا والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا
عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم مريم فحملها فعرفت مريم
في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف
يرزق لمكانها منه فكان ياتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها في المحراب نماه الله وزاده
فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب وهذا يحتمل
ان يكون من تمام كلام مريم وان يكون ابتدا كلام من الله عز وجل ومعناه ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير
تقدير لكثرته او من غير سبب وفي هذه الاية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور خوارق العادات
على ايديهم قال اهل الاخبار فلما راى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على ان ياتي مريم بالفاكهة في غير وقتها
وحينها من غير سبب لقادر ان يصلح لي زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه مع الكبر وطمع في الولد وذلك ان
اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وايس من الولد فذلك قوله عز وجل هنالك دعا
زكريا ربه يعني انه عليه السلام دخل محرابه واغلق الابواب وسال ربه الولد قال رب هب لي من
لدنك ذرية طيبة يعني انه قال يا رب اعطني من عندك ولدا مباركا تقيا رضيا والذرية تطلق على الواحد
والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة لتانيث لفظ الذرية انك سميع الدعاء اي سامعه
ومجيبه قوله عز وجل فنادته الملائكة يعني جبريل عليه السلام وانما اخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشانه
ولانه رئيس الملائكة وقيل انه لم يبعث الا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك مجرى العادة وهو قائم يصلي
في المحراب اي في المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا
يدخلون حتى يؤذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون الاذن في
الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بياض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله
يبشرك بيحيى اي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لان الله تعالى احيا به عقر امه وقيل لان الله تعالى
احيا قلبه بالايمان وقيل لان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى
ابن مريم وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير اب ودلالة على كمال قدرته
فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لان الله تعالى بشر مريم بعيسى عليه السلام كان يرشد
الخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويهدى به كما يهدى بكلام الله تعالى فسمي كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي

كلمه

كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل وقيل لان الله تعالى اخبر الانبياء قبله الذي في كتبه المنزلة عليهم
انه يخلق نبيا من غير والد فلما جا قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد بخلقه كذلك وكان
يحيى اول من امن بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكانا ابني خالة وقتل يحيى قبل ان يرفع
عيسى عليه السلام وقيل ان ام يحيى لقيت ام عيسى وهما حاملتان فقالت ام يحيى لام عيسى يا مريم اشعرت اني
حامل فقالت مريم وانا ايضا حامل فقالت ام يحيى اني لاجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا
بكلمة من الله يعني ان يحيى امن بعيسى وصدقه وسيدا من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع وكان يحيى
عليه السلام سيد المومنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذي يطيع ربه
وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذي لا يغضبه شي وقيل
السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم
يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس على انا نبخله قال واي دا ادوى من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح وحصورا قال
ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا ياتي النسا ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني انه
حصر نفسه عن الشهوات واصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له
فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النسا قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد
تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول اخر وهو ان الحصور الممتنع من الوطي مع القدرة عليه وانما ترك للعفة
والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو اللايق بمنصب الانبيا لان الكلام
انما خرج مخرج المدح والثنا وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز وايضا فان منصب النبوة يجل ان يضاف
الى احد منهم نقص فاما فيحمل الكلام على منع النفس عن الوطي مع عدم العجز عنه ونبيا من الصالحين يعني انه من
اولاد الانبيا الصالحين قوله عز وجل قال يعني زكريا رب اي يا رب قيل هو خطاب مع جبريل لان الاية المتقدمة
دلت على ان الذين نادوه هم الملائكة فعلى هذا يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربي اي يا سيد وقيل انه
خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع في ازالة ذلك
التعجب الى الله تعالى فقال رب انى يكون لي غلام يعني من اين يكون وكيف يكون لي غلام وقد بلغني الكبر قيل
هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر وادركني الضعف فان
قلت كيف انكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة اياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك
بعد وعد الله اياه به الا ان شاكا في وعد الله وفي قدرته قلت لم يشك زكريا عليه
السلام في وعد الله وفي قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من اي جهة يكون لي
الولد ايكون بازالة العقر عن زوجتي ورد شبابي علي او يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله
كذلك الله يفعل ما يشا قال عكرمة والسدي لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت
الذي سمعت ليس هو من الله تعالى وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحاه اليك كما يوحي اليك في ساير
الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على الجواب بانه لا يجوز ان يشتبه على الانبيا كلام
الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوي واجيب
عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلايل على صدق الانبيا فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل
للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرايع واما ما يتعلق بمصالح الدنيا والولد فقد يحتمل دخول
الوسوسة فسال زكريا ذلك ليزول عنه الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين